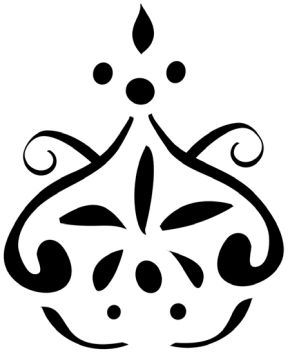

جزيرة النور

جزيرة النّور

إلى القادمين من بعيد مجد والشوق خطاهم صوب البيت العتيق

جزيرةَ النورِ لبّى ركبُنا السّارِي
وحرّكَ الوجدُ أنغامي وأوتاري
وجئتُ أنشق عطرًا شدّ رَاحلتي
عَبرَ السنينَ وروّى نفحُهُ داري
ياكم رحلتُ بوجداني، وكم ضَربَتْ
في الطين ساقي فما أبصرتُ تسياري
وصلّتني الأمنُ في دنيا على يدها
من ظلم أجيالِنا آثارُ أظفارِ
إليكِ بعد الدّجى وجّهتُ قافلتي
وتوّج اللهُ بعد اليأسِ أسفاري
دعى المشوقَ إلى الصحراءِ يَلثمها
ويمنحُ الرّملَ سُقيا دمعِهِ الجاري
دعى جبينى على أرضٍ بها خُطَرتْ
خُطى النّبوّةِ، أرضِ الوحيِ والغارِ
أنا المُتيّمُ يا صحراءُ فاستمعي
إلى وجيبي وذوقي صِدقَ أشعاري
وعانِقيني عِناقًا ينتهي ظمئي
على ثراكِ وتخبو جذوةُ النّارِ
لا تنكريني فما غنيتُ من زمنٍ
ولا تحرّكَ بالأشواقِ قيثاري

ولا تقولي خطايا الأمس تُثقلُه
وتخنقُ اللحنَ في أنفاسِ مزماري
لولا ذنوبي لما هَرْولتُ مُلتمسًا
صفحًا بركنكَ من بَرٍّ وغفّارِ
لولا الخطايا لما طوّفتُ معتقدًا
أني طرحتُ على الأعتاب أوزاري
يا كعبةَ الخير، كم مستغفرٍ ثقلت
ذنوبُه جاريَ بغي حُرمةَ الجارِ
لم ترفضيه، فطافَ البيتَ وانفتحت
له السماءُ، وكم تحويدُ البارِي
وعبَّ بعد طوافٍ تشتهي قدمي
لو ظلتِ العُمرَ - في تيّارِه الجاري
من زمزمِ الطُّهرِ، صانَ اللهُ موردها
كم رطّبت بالتُّقى أنفاسَ أطهارِ
من مائها البرءُ والإرواءُ ما نضبت
منها المياهُ، ولا ضنّت بأسرارِ
ما زلتِ تُعطينَ، كم من حاجةٍ قُضيت
وكم سقيمٍ مضى، من غيرِ أوضارِ

***

يا مُنكرَ اللهِ سل بئرًا هنا منحت
من مائها الناسَ، كم جادت بملیارِ
لو أنَّ عقلًا هُنا أحصى موارِدَها
وقارنَ البئرَ مُذ كانت بأنهارِ

لأدركَ اللهَ في تفجيرِ أنعُمِهِ
على الورى من خلال الصخرِ والنارِ

•••

لاتنكريني أنا الساعي على قدمي
من مروةٍ للصفا ، المُستسلِمُ العاري
خلعتُ ثوبي، وجئتُ اليومَ لن تجدي
زيفَ الحياةِ ، أُطِلّي دون منظارِ
أنا ابنُ آدمَ لاجاهٌ يميّزهُ
ولا لباسٌ به أمتازُ عن جاري
الكلُّ ألقى عن الأجسادِ زُخرفَها
وجاءَ مُستسلماً يعنو بجبّارِ
هذي المساواةُ..من ذا يدّعي كذباً
أنا استعرْنا نفاياتٍ لأفكارِ ؟
من قبلِ ألفٍ غرسناها بتربتنا
وامتدّ إشعاعُها الهادي لأقطارِ
لاتنسبوا النورَ ظلماً.. إنه ألقي
ونبعُ ديني ، وميراثٌ لأبرارِ..

•••

لبيكَ هذي مِنًى طابت ملامحُها
كم راعبتْ بالسّنا وجدانَ أمصارِ
لبيكَ يارب ، هذي أرضُها اتّسعَتْ
وعانقتْنا فما ضاقت بزوّارِ..
ودّعتُ بالدمعِ يارباهُ تربتَها
«لوقفةٍ» ترتجى في ظلِّ غفّارِ..

منها سرينا جيوشًا وحّدت يدُهُ
لِواءَ عُبادِها، عزّتْ خطى الساري
انظر إلينا، وقفنا كلّنا أملٌ
ندعوكَ، بيضًا، وسودَ الجلدِ كالقارِ
شدّتْ رؤانا جبالُ النورِ، واتسعت
رحابةُ الصفحِ أميالًا لإبصارِ
أحسّ أن السّما تنساب دعوتُنا
منها إليكَ فتمضي دونَ أسوارِ
وأسمع الآن نجوى أنفسٍ وقفت
مقبولةَ التوبِ نالت عفوَ قهّارِ

إن لم أنلها هنا والعمرُ قد عصفت
ريحُ الخريفِ به فاصفرّ ياعارِي
ربّ الوجودِ رَحِمْنا، شدّ ساعدَنا
كُرْهٌ لمن ضلّ أو أغرى بإصرارِ
هذي السواعدُ باركْها فقد رفضت
بالرجمِ ما حاكه تضليلُ غرّارِ
كأن كلّ حصاةٍ لعنةٌ لحقت
طريدَ جنّتِهِ المستكبرِ الضاري
وعدتُ أمضي خفيفَ الخطوِ ما ثقُلت
كالأمسِ سابقتي، لِهَدْيٍ ثمّ مُختارِ
نحرتُه فديةً لم تخفَ حكمتُها
على البصيرِ، ولم تعبأ بإنكارِ..

اللهُ أكبرُ ما أسمَى شريعتنا
تعطي وتسخو، ولا ترضى بإعسارِ
لا جائعَ اليومَ حولَ البيتِ قد شبِعَت
كلُّ البطونِ، وورقُ الجارُ للجارِ..

●●●

يا بيتُ عُدنا، أعزَّ اللهُ كعبتَنا
نرجو الإفاضةَ بارِكْ ركبَنا السارِي
ما ضفتَ بالركبِ، لم تسألْ قوافلَه
عن أصلِها، لم تسلْها بعدُ عن دارِ
طُفنا نناجيكَ يا ألله ما اختلفت
رغمَ اختلافِ اللُّغى نجوى لزُوَّارِ
عظمتُ وجهَكَ ربَّ البيتِ ما سجدت
هذي الجباهُ، وضاعت صولةُ الغارِ
وآمنَ الناسُ أنَّ الطينَ منبتُهم
هذا الثرىُّ أخٌ للمُعدِمِ العارِي

●●●

يا حكمةَ الحجِّ، لم يخفَ السنا أبدًا
من يطفئُ الشمسَ، هذا زيغُ إبصارِ
ربِّ انتهينا وودعنا هنا خزمًا
والشوقُ في أضلعي يطفو كإعصارِ
لم تشبعِ الروحُ بعدَ الحجِّ، ما برِحتْ
نفسي تتوقُ، ودمعي هامِلٌ جارِ
أدعوكَ.. أدعوكَ يا توابُ مغفرةً
تقي حجيجَكَ يومَ الهولِ من نارِ